المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة القصيم
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم القرآن وعلومه



من مناقب الصحابة في القرآن الكريم

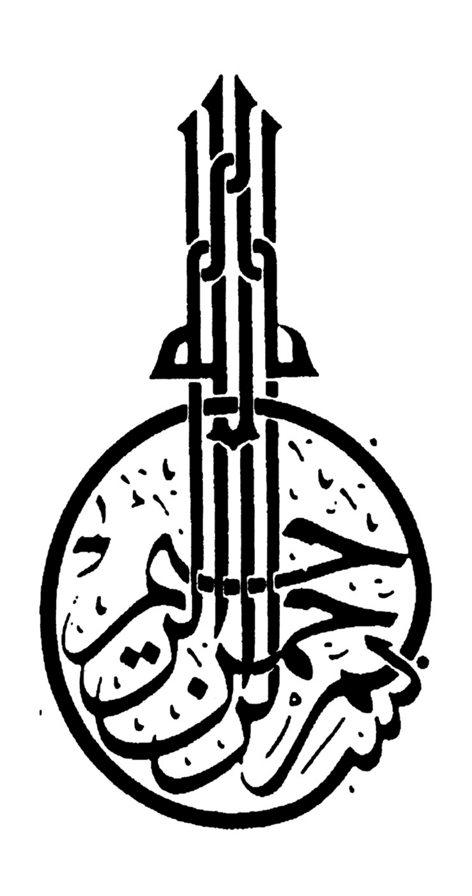
إعداد

د/ محمد بن حمد بن عبدالله المحيميد

الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

١٤٣٢هـ


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمــة

الحمد لله الذي جعل القرآن هدىً ونوراً ، ويسره للذكر، وأمر بتدبره والتفكر في معانيه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد :

فإن الصحابة – رضي الله عنهم – من مهاجرين وأنصار أبلوا في الإسلام بلاءً حسناً ، وكان لهم السبق في الإيمان والنصرة لهذا الدين القويم ورسوله العظيم، لذا كان حقاً على المسلمين أن يعرفوا لهم قدرهم ويتعرفوا على مناقبهم ومزاياهم، ويقتدوا بهم.

وقد أردت من هذا البحث إبراز شيء من مناقبهم العظيمة وخصالهم الحميدة.

هذا ، وقد قسمت خطة البحث إلى مقدمة وستة مباحث مشتملة على مطالب ، هي كالتالي :

المقدمة : وهي ما أنا بصددها .

المبحث الأول :

مكانة الصحابة - رضي الله عنهم – من الدين .

وفيه مطالب :

المطلب الأول : قوة الإيمان .

المطلب الثاني : سرعة الامتثال والاستجابة .

المطلب الثالث : كثرة العبادة كالسجود .

المطلب الرابع : إخلاص قلوبهم للتقوى .

المطلب الخامس : قوة توكلهم على ربهم .

المطلب السادس : منقبة الخلفاء الراشدين وبعض الصحابة الذين نزل فيهم قرآن .

المبحث الثاني :

مكانة الصحابة من الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، وقدره عندهم .

وفيه مطالب :

المطلب الأول : السبق بالإيمان به .

المطلب الثاني : تعليم الرسول – صلى الله عليه وسلم – لهم .

المطلب الثالث : تزكيته إياهم .

المطلب الرابع : مشاورته لهم .

المطلب الخامس : لينه معهم – صلى الله عليه وسلم – وعطفه عليهم .

المطلب السادس : كمال تعاملهم مع النبي – صلى الله عليه وسلم – .

المبحث الثالث :

امتنان الله – عز وجل – على الصحابة .

وفيه مطالب :

المطلب الأول : بعث الرسول – صلى الله عليه وسلم – منهم .

المطلب الثاني : العفو عنهم والتوبة عليهم .

المطلب الثالث : رضوان الله عليهم .

المطلب الرابع : البشارة لهم ووعدهم بالجنة .

المبحث الرابع :

مناقب الصحابة في الجهاد في سبيل الله .

وفيه مطالب :

المطلب الأول : الصدق عند اللقاء وشدة البأس .

المطلب الثاني : حسن ظنهم بربهم .

المطلب الثالث : تثبيتهم وإمدادهم بالملائكة .

المطلب الرابع : إلقاء الرعب في قلوب أعدائهم .

المطلب الخامس : كف أيدي الكفار عنهم وكفاية الله لهم .

المطلب السادس : الإنفاق في سبيل الله .

المبحث الخامس :

معاملتهم للآخرين .

وفيه مطالب :

المطلب الأول : الشدة على الكفار والتراحم بينهم .

المطلب الثاني : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المطلب الثالث : الإيثار لغيرهم .

المبحث السادس :

فضائل أمهات المؤمنين .

وفيه مطالب :

المطلب الأول : مضاعفة الأجور والرزق الكريم .

المطلب الثاني : كونهن من أهل بيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

المطلب الثالث : كونهن أمهات المؤمنين واختصاصهن بالرسول – صلى الله عليه وسلم – .

المطلب الرابع : تبرئة أم المؤمنين عائشة من فوق سبع سماوات .

المطلب الخامس : تزويج زينب من الرسول من فوق سبع سماوات .

المطلب السادس : كونهن خير النساء للرسول – صلى الله عليه وسلم – .

الخاتمة

ثُمَّ فهرس للمراجع ثم الموضوعات .

أسأل الله العلي القدير أن يسددنا في القول والعمل وأن يرزقنا حبه وحب رسوله وصحابته الكرام ، إنه سميع مجيب .

الباحث

المبحث الأول

مكانة الصحابة -رضي الله عنهم - في الدين

وفيه مطالب :

المطلب الأول : قوة الإيمان .

المطلب الثاني : سرعة الامتثال والاستجابة .

المطلب الثالث : كثرة العبادة كالسجود .

المطلب الرابع : إخلاص قلوبهم للتقوى .

المطلب الخامس : قوة توكلهم على الله عز وجل .

المطلب السادس : منقبة الخلفاء الراشدين وبعض الصحابة الذين نزل فيهم قرآن .

((المطلب الأول))

قوة إيمان الصحابة - رضي الله عنهم -

في صدر سورة البقرة جاء تقسيم الناس ثلاثة أقسام : مؤمنين وكافرين ومنافقين .

وهذه الأقسام الثلاثة وجدت منذ العهد المكي وبداية العهد المدني لنزول القرآن الكريم وجاء البدء بأعلى الأقسام وغيرها وهم المؤمنون بقوله عز وجل :﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [١] .

وهذا الثناء على المؤمنين بأن بلغ إيمانهم التصديق بما وراء المحسوس والمشاهد وهو الغيب ، وبلغ التصديق بما أنزل على الرسل السابقين ، إضافة إلى الإيمان بما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - .

وهذا الثناء يتناول بالدرجة الأولى أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - فهم أول الأقسام الثلاثة التي وجدت حال نزول هذه الآية في أول العهد المدني .

عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما في تفسير الآيات المتقدمة :

---

[١] سورة البقرة : الآيات من ١ – ٤ .

"أما الغيب فما غاب عن العباد من أمر الجنة وأمر النار ، وما ذكر الله تبارك وتعالى في القرآن ، لم يكن تصديقهم بذلك – يعني المؤمنين من العرب – من قبل أصل كتاب أو علم عندهم" [١] .

قال الطبري – رحمه الله – : "وقد اختلف أهل التأويل في أعيان القوم الذي أنزل الله جل ثناؤه هاتين الآيتين من أول السورة فيهم ، وفي نعتهم وصفتهم التي وصفهم بها ، من إيمانهم بالغيب وسائر المعاني التي حوتها الآيتان من صفاتهم .

فقال بعضهم : هم مؤمنوا العرب خاصة دون غيرهم من مؤمني أهل الكتاب واستدلوا على صحة قولهم ذلك وحقيقة تأويلهم بالآية التي تتلو هاتين الآيتين وهو قول الله – عز وجل – : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ (٢). قالوا فلم يكن للعرب كتاب قبل الكتاب الذي أنزله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم " [٣] .

ومن الأدلة على قوة إيمان الصحابة رضي الله عنهم قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ

---

(١) جامع البيان ١/ ٢٣٦ .

(٢) سورة البقرة : آية ٣ .

(٣) جامع البيان ١/ ٢٣٧ .

إِيمَٰنًا وَتَسۡلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ ﴾[1] .

فهذا دال على قوة إيمانهم وعلوه ، فهم واثقون بوعد الله قائمون بأمره موفون بعهده ، بذلوا مهجهم في سبيل الله ومرضاته [2] .

وقوله تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ ﴾ نزل في أنس بن النضر رضي الله عنه (٣) ، وفي قوم من الصحابة ، لم يشهدوا بدراً فعاهدوا الله أن يفوا قتالاً للمشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيبلوا بلاء حسناً ، وقد أوفوا بما عاهدوا الله عليه لصدق عهدهم وقوة إيمانهم [4] .

*****

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٥/ ٤٣٧ – ٤٣٨ ، وتيسير الكريم الرحمن ص ٦٣٠ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد / باب ١٢ قوله تعالى : **(من المؤمنين رجال صدقوا ما عادوا الله عليه)** ٣/ ٢٠٥ ، ومسلم في كتاب الإجارة / باب ٤١ ثبوت الجنة للشهيد ٣/ ٢٥١٢ حديث رقم (١٩٠٣) .

(٤) انظر : جامع البيان ٢١/١٤٦ ، ١٤٧ ، ومعالم التنزيل ٣/ ٥٢٠ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٤٨ – ٤٤٠ .

((المطلب الثاني))

سرعة الامتثال والاستجابة

كان الصحابة – رضي الله عنهم – سريعي الامتثال لأوامر الله ورسوله مستجيبين لها على الفور ، وعلى وجه تام مع الرضا والتسليم والانقياد التام .

ومن أمثلة ذلك ما ورد في سبب نزول آخر الآيات من سورة البقرة من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : لما نزلت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾[1] .

قال : فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأتوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم بركوا على الركب ، فقالوا : أي رسول الله! كلفنا من العمل ما نطيق . الصلاة والصيام والجهاد والصدقة ، وقد أنزلت عليك هذه الآية ، ولا نطيقها . قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : "أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم : سمعنا وعصينا ؟ ، بل قولوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير" . قالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير .

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٨٤ .

فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم . فأنزل الله في إثرها ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [1] .

فلما فعلوا ذلك نسخها الله - تعالى -، فأنزل الله – عز وجل - : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ ﴾ [2] [3] .

*****

(١) سورة البقرة : آية ٢٨٥ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٨٦ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان / باب ٥٧ بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق ١/ ١١٥ حديث (١٢٥) ، والواحدي في أسباب النزول ص ٩٤ .

((المطلب الثالث))

كثر العبادة كالصلاة

امتدح الله – عز وجل – نبيه – صلى الله عليه وسلم – وأصحاب نبيه – رضي الله عنهم – بقوله – سبحانه – :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾[(١)] .

هذه الآية العظيمة تدل على مدى تعلق الصحابة – رضي الله عنهم – بعبادة ربهم وشدة صلتهم به ، حتى إن الآية لتصورهم وكأنهم دائماً على هذه الحال الرفيعة المهيبة من السمو بهمهم لرضا ربهم ، وقد أثرت كثرة العبادة في وجوههم حتى استنارت وحسنت وعرفوا بأثرها ، فإنهم قد استنارت بواطنهم

---

(١) سورة الفتح : آية ٢٩ .

بالصلة لربهم في هذه العبادة العظيمة الصلاة فاستنارت ظواهرهم بالجلال والبهاء في أثر السجود [١] .

إن هذا الوصف وهذا الأثر منقبة عظيمة لأصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - وتكريم من الله - عز وجل - لهم .

يقول سيد قطب - رحمه الله - "وإرادة التكريم واضحة وهو يختار من هيئاتهم وحالاتهم هيئة الركوع والسجود وحالة العبادة (تراهم ركعاً سجداً) والتعبير يوحي كأنما هذه هيئتهم الدائمة التي يراها الرائي حيثما رآهم . ذلك أن هيئة الركوع والسجود تمثل حالة العبادة ، وهي الحالة الأصيلة لهم في حقيقة نفوسهم ، فعبر عنها تعبيراً يثبتها كذلك في زمانهم ، حتى لكأنهم يقضون زمانهم كله ركعاً سجداً ...

والنقطة الرابعة تثبت أثر العبادة الظاهرة والتطلع المضمر في ملامحهم ونضحها على سماتهم (سيماهم في وجوههم من أثر السجود) سيماهم في وجوههم من الوضاءة والإشراق والصفاء والشفافية ، ومن ذبول العبادة الحي الوضيء اللطيف ، وليست هذه السيما هي النكتة المعروفة في الوجه كما يتبادر إلى الذهن عند سماع (من أثر السجود) فالمقصود بأثر السجود هو أثر العبادة . واختار السجود لأنه يمثل حالة الخشوع والعبودية لله في أكمل صورها .

---

(١) انظر : تيسير الكريم الرحمن ص ٧٦١ .

فهذا أثر هذا الخضوع . وأثره في ملامح الوجه ، حيث تتوارى الخيلاء والكبرياء والفراهة ، ويحل محلها التواضع النبيل، والشفافية الصافية ، والوضاءة الهادئة ، والذبول الخفيف الذي يزيد وجه المؤمن وضاءة وصباحة ونبلاً " [١] .

*****

(١) في ظلال القرآن ٧/ ٥١٤ .

((المطلب الرابع))

إخلاص قلوبهم للتقوى

امتدح الله – عز وجل – أصحاب نبيه في حال تأدبهم بحضرته وعدم رفع أصواتهم بين يديه احتراماً وإجلالاً بقوله – عز وجل – :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ ﴾ (١) .

وهذه الآية فيها إشارة إلى ما كان من أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – كأبي بكر وعمر حين تأدبوا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بخفض الصوت عنده إجلالاً له.

روى ابن أبي مليكة قال : كاد الخيران أن يهلكا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، رفعا أصواتهما عند النبي – صلى الله عليه وسلم – حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع وأشار الآخر برجل آخر ، قال نافع: لا أحفظ اسمه ، فقال أبو بكر لعمر : ما أردت إلا خلافي ، قال : ما أردت خلافك ، فارتفعت أصواتهما في ذلك ، فأنزل الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ ٢ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الحجرات : آية ٣ .

(٢) سورة الحجرات : آية ٢ .

قال ابن الزبير : فما كان عمر يُسْمِعُ رسول الله بعد هذه الآية حتى يستفهمه ... " [١]

ومعنى امتحن الله قلوبهم للتقوى أي ابتلاها واختبرها فظهرت نتيجة ذلك أنها صالحة للتقوى وخشية الله – عز وجل – واتباع رسوله – صلى الله عليه وسلم – وتوقيره [٢] .

إن هذه الهبة الربانية تعتبر من أعظم مناقبهم وأكبر خصائصهم ، ولذلك فقد قدم اسم الإشارة (أولئك) على الموصول (الذين) مما يدل على خصوصيتهم بذلك رضي الله عنهم، وقد وعدهم الله – عز وجل – بمغفرة ذنوبهم وتعظيم أجورهم .

إن التقوى مكانة عليا وصفة عظمى ، فهي وصية الله للأولين والآخرين ، أمر الله – عز وجل – بها في كتابه ، ورسوله – صلى الله عليه وسلم – في سنته .

وجاء الثناء على أهلها وذكر ثمراتها في كثير من نصوص الكتاب والسنة .

*****

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير / سورة الحجرات ٦/ ٤٦ ، وانظر : أسباب النزول للواحدي ص ٣٨٦ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٢١٠ ، والمحرر في أسباب النزول ٢/ ٩١١ .

(٢) انظر : معالم التنزيل ٤/ ٢١٠ ، وتيسير الكريم الرحمن ص ٧٦٥ .

((المطلب الخامس))

قوة توكل الصحابة على الله – عز وجل –

مما جاء في القرآن ثناء على الصحابة – رضي الله عنهم – بقوة توكلهم على ربهم ، وشدة اعتمادهم عليه قوله – عز وجل – :

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾[1] .

وقد جاءت هذه الآيات بعد بيان مواقف المنافقين التي فيها التخذيل والإرجاف كما في قوله – عز وجل – : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾[2] .

وقوله – عز وجل – : ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ ﴾[3] .

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٢٢ .

(٢) سورة الأحزاب : آية ١٢ .

(٣) سورة الأحزاب : آية ١٨ ، ١٩ .

إن هذا لموقف الثابت القوي من الصحابة رغم تخذيل المنافقين واستهزائهم وتنكرهم ليدل على قوة توكل الصحابة - رضي الله عنهم - وتفويض أمرهم لربهم وشدة تسليمهم له سبحانه (١) .

وأوضح من هذا قوله - عز وجل - : عن أصحاب نبيه – صلى الله عليه وسلم – بعد معركة أحد : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ (٢) .

وقد جاء في سبب نزول هذه الآيات عن قتادة قال : انطلق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعصابة من أصحابه بعدما انصرف أبو سفيان وأصحابه من أحد خلفهم ، حتى كانوا بذي الحليفة ، فجعل الأعراب والناس يأتون عليهم فيقولون لهم: هذا أبو سفيان مائل عليكم بالناس ! فقالوا "حسبنا الله ونعم الوكيل" فأنزل الله فيهم: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ (٣) (٤) .

---

(١) انظر : الكشاف ٣/ ٢٣٢ ، وتفسير ابن كثير ٥/ ٤٣٨ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٧٣ .

(٤) أخرجه ابن جرير ٧/ ٤١٠ بسند صحيح ، والواحدي في أسباب النزول ص ١٣٢ .

إن هذه الآيات في معرض الثناء على الصحابة –رضي الله عنهم– حين لم يبالوا بإرجاف المرجفين وتعلقوا بربهم توكلاً عليه واكتفاءاً بحفظه ونصره .

قال القرطبي – رحمه الله – قوله : ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ أي كافينا الله ، وحسب مأخوذ من الإحساب ، وهو الكفاية " [1].

إن هذا دأب الأنبياء الصالحين في قوة توكلهم على الله - عز وجل - ، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - : ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ قالها إبراهيم – عليه السلام - حين ألقي في النار ، وقالها محمد – صلى الله عليه وسلم – حين قالوا : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزاد إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل" [2] .

*****

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٢٨٢ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، سورة آل عمران ، باب ١٣ إن الناس قد جمعوا لكم .... الآية ٥/ ١٧٢ .

((المطلب السادس))

منقبة الخلفاء الراشدين وبعض الصحابة الذين نزل فيهم قرآن

إن نزول القرآن في شأن أحد معين يدل على شرفه وعلو مكانته من الدين ، كما قالت عائشة – رضي الله عنها – وهي تحكي قصة براءتها من الإفك الذي رماها به المنافقون ، حيث تقول : "... ثم تحولت فاضطجعت على فراشي ، قالت : وأنا حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله يبرئني ببراءتي ، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يتلى ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يتلى ، ولكنت كنت أرجو أن يرى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في النوم رؤيا يبرؤني الله بها ، قالت : فو الله ما رام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه ... " [(١)] .

وقد نزل القرآن في كثير من الصحابة – رضي الله عنهم – كالخلفاء الأربعة وغيرهم ، وسأورد بعض الأمثلة لذلك دون استقصاء ، لأن استقصاء أسباب النزول في ذلك لا يستوعبه مثل هذا البحث ، بل يحتاج بحثاً مستقلاً ، فمن الأمثلة ما يلي :

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، سورة النور ، باب قوله (إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم ...) ٦/ ٩ .

المثال الأول :

قوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴿٤٠﴾ ﴾[1] .

فصاحب النبي – صلى الله عليه وسلم – هو أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – كما هو معلوم ومستفيض [2] .

وهذا من أعظم المناقب حيث نزل القرآن في شأن أبي بكر ، وجاء التفصيل بصحبته للنبي – صلى الله عليه وسلم – في حال ليس معه غيره (ثاني اثنين) .

المثال الثاني :

قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾[3] .

عن عامر بن عبدالله بن الزبير عن بعض أهله : قال أبو قحافة لابنه أبي بكر يا بني أراك تعتق رقاباً ضعافاً ، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جلدة

---

(١) سورة التوبة : آية ٤٠ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٤٠٢ ، وتيسير الكريم الرحمن ص٣١٤ .

(٣) سورة الليل : آية ٥ – ٢١ .

يمنعونك ويقومون دونك ، فقال أبو بكر يا أبت إني إنما أريد ما أريد ، قال : فنحدث ما أنزل هؤلاء الآيات إلا فيه ، وفيها قال أبوه : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ ﴾ إلى آخر السورة [1] .

المثال الثالث :

نزول الآيات على لسان عمر – رضي الله عنه – في كثير من الآيات وكفى بذلك منقبة وشرفاً وفضلاً . من ذلك :

ما رواه أبو زميل هو سماك الحنفي حدثني عبدالله بن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض فما زال يهتف بربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كذاك مناشدتك ربك

---

(١) أخرجه ابن جرير ٣٠/ ٢٢١ ، والحاكم في المستدرك ٢/ ٥٢٥ ، والواحدي في أسباب النزول ص٤٥٦ ، وقال محققه : وإسناده حسن بشواهده .

فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [(١)] . فأمده الله بالملائكة .

قال أبو زميل فحدثني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة ، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين .

قال أبو زميل قال ، بن عباس فلما أسروا الأسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر : ما ترون في هؤلاء الأسارى؟ فقال أبو بكر يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ترى يا ابن الخطاب قلت لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ، ولكني أرى أن تمكنّا فنضرب أعناقهم ، فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكّنّي من فلان ، نسيبا لعمر ، فأضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها ، فهوى رسول الله صلى الله عليه

(١) سورة الأنفال : آية ٩.

وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت ، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدين يبكيان ، قلت : يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء ، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة ، شجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وأنزل الله عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ إلى قوله ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾[1] . فأحل الله الغنيمة لهم"[2] .

وقد جاءت كثير من الآيات القرآنية موافقة لأقوال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وقد جاء ذلك مبيناً في بحث لأخينا الدكتور علي بن عمر بن محمد السحيباني (جامعة القصيم – قسم القرآن وعلومه) ، نشر في مجلة كلية التربية ، القسم الأدبي في جامعة عين شمس ، المجلد الثاني عشر ، ٢٠٠٦م .

---

(١) سورة الأنفال : آية ٦٧ – ٨٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد / باب ١٨ ، الإملاء بالملائكة في غزوة بدر ٣/ ١٣٨٣ – ١٣٨٥ – ح رقم (١٧٦٣) .

المثال الرابع :

قولـــــه تعالـــــى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [١] .

نزلت في صهيب – رضي الله عنه – حين تخلى عن ماله مقابل تخلية المشركين بينهم وبين الهجرة .

قال الواحدي : قال سعيد بن المسيب أقبل صهيب مهاجراً نحو رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فاتبع نفر من قريش من المشركين فنزل عن راحلته ونثرها في كنانته وأخذ قوسه ، ثم قال : يا معشر قريش لقد علمتم أني أرماكم رجلاً ، وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بما في كنانتي ، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ، ثم افعلوا ما شئتم ، قالوا : دلنا على بيتك ومالك بمكة ونخلي عنك ، وعاهدوه إن دلهم أن يدعوه ، ففعل . فلما قدم على النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : "أبا يحيى ربح البيع" وأنزل الله (**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله**)" [٢] .

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٠٧ .

(٢) أسباب النزول ص٦٦ .

المثال الخامس :

قولـه تعـالى : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾[1] .

نزلت هذه الآية في أنس بن النضر – رضي الله عنه – لما أبلى في الجهاد في سبيل الله حتى استشهد – رضي الله عنه – .

عن أنس بن مالك– رضي الله عنه – : أن أنس بن النضر تغيب عن قتال بدر ، فقال : تغيبت عن أول مشهد شهده النبي – صلى الله عليه وسلم – ! لإن رأيت قتالاً ليرين الله ما أصنع . فلما كان يوم أحد انهزم أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – أقبل أنس ، فرأى سعد بن معاذ منهزماً ، فقال : يا أبا عمرو أين ؟ ! أين ؟ ! قم ، فوالذي نفسي بيده إن ريح الجنة دون أحد ، فحمل حتى قتل ، فقال سعد بن معاذ ، فوالذي نفسي بيده ما استطعت ما استطاع ، فقالت أخته : فما عرفت أخي إلا ببنانه ، ولقد كانت فيه بضع وثمانون ضربة ، من بين ضربة بسيف ورمية بسهم وطعنة برمح ، فأنزل الله عز وجل فيه : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾[2] .

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٢٣ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ، باب ١٢ قوله تعالى : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) ٣/ ٢٠٥ ، ومسلم في كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد ٣/ ١٥١٢ ، رقم (١٩٠٣) ، وانظر : المحرر في أسباب النزول ٢/ ٨٠١ .

المبحث الثاني

مكانة الصحابة من الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وقدره عندهم

وفيه مطالب :

المطلب الأول : السبق بالإيمان .

المطلب الثاني : تعليم الرسول –صلى الله عليه وسلم– لهم.

المطلب الثالث : تزكيته إياهم .

المطلب الرابع : مشاورته لهم .

المطلب الخامس: لينه معهم وعطفه عليهم .

المطلب السادس: كمال تعاملهم مع النبي – صلى الله عليه وسلم– .

((المطلب الأول))

سبق الصحابة بالإيمان بالرسول – صلى الله عليه وسلم –

من أخص مناقب الصحب الكرام أن لهم قدم السبق باتباع الرسول – صلى الله عليه وسلم – وتصديقه ، وقد أثنى الله – عز وجل – عليهم بذلك في قوله سبحانه :

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (١) .

السابقون هم أصحاب بيعة الرضوان ، أو من صلى إلى القبلتين ، أو من شهد بدراً ، على أقوال في ذلك (٢) .

وسبق الصحابة – رضي الله عنهم – له دلالاته العظيمة وآثاره البالغة في نصرة النبي – صلى الله عليه وسلم – ودينه وتأسيس قاعدة دولة الإسلام فهم سبقوا الناس إلى الإيمان بالله ورسوله ، ومن هاجر منهم هجروا قومهم

---

(١) سورة التوبة : آية ١٠٠ .

(٢) انظر : جامع البيان ١٤/ ٤٣٥ – ٤٣٧ ، والمحرر الوجيز ٨/ ٢٥٩ .

وعشيرتهم وفارقوا منازلهم وأوطانهم ... وأما الأنصار فقد نصروا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على أعدائه وآووه وأصحابه المهاجرين [١] .

إن هؤلاء السابقين من المهاجرين والأنصار أوجدوا القاعدة القوية لبناء الدولة المسلمة التي صارت منطلقاً للدعوة لهذا الدين والدفاع عن أهله وإيواء الراغبين في الدخول فيه [٢] ، لذلك أثنى الله عليهم هذا الثناء العظيم ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ ، ثم وعدهم بأعظم الوعود وأرقى المقامات ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ .

*****

(١) انظر : الطبري ١٤/ ٤٣٤ .

(٢) انظر : في ظلال القرآن ٤/ ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

((المطلب الثاني))

تعليم الرسول –صلى الله عليه وسلم– لهم

جاء في آيات القرآن امتنان الله – عز وجل – على الصحابة بأن أرسل فيهم رسولاً يعلمهم ، ومن ذلك قوله – عز وجل – :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [(١)] .

قال السعدي – رحمه الله – ضمن تفسير هذه الآيـة ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ أي : علم القرآن وعلم السنة، المشتمل ذلك على علوم الأولين والآخرين.

فكانوا بعد هذا التعليم والتزكية منه أعلم الخلق ، بل كانوا أئمة أهل العلم والدين، وأكمل الخلق أخلاقاً ، وأحسنهم هدياً وسمتاً اهتدوا بأنفسهم ، وهدوا غيرهم ، فصاروا أئمة المهتدين ، وهداة المؤمنين ، فلله عليهم – ببعثه هذا الرسول – صلى الله عليه وسلم – أكمل نعمة وأجل منحة " [(٢)] .

وقال تعالى : ممتنا على الصحابة بذلك : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [(٣)] .

---

(١) سورة الجمعة : آية ٢ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٨٢٤ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٦٤ .

وهذه الآية دالة على منقبة عظيمة وهي تلقي الصحابة للقرآن مباشرة من الرسول – صلى الله عليه وسلم – كما تنص عليه الآية ﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ ، وهذا من أعظم المناقب الدالة على علو سندهم وفضلهم في كونهم أول من تلقى القرآن الكريم .

إن تعلم الرسول – صلى الله عليه وسلم – للصحابة ، وتلقيهم العلم والأخلاق عنه بالقول والفعل لمن أعظم المناقب وأشرف المراتب ، والصحابة – رضي الله عنهم – كانوا حريصين على أخذ العلم عنه وثني الركب بين يديه، وتعليم الرسول – صلى الله عليه وسلم – لصحابته كان حيناً بالقول ولعل هذا هو الأكثر ، وحيناً بالفعل والقدوة كما في قوله – صلى الله عليه وسلم – : **"صلوا كما رأيتموني أصلي"**[(١)] . وقوله : **"خذوا عني مناسككم"** [(٢)] .

وقد ارشد الله إلى الاقتداء بنبيه بقوله – عز وجل – : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [(٣)] .

*****

(١) أخرجه البخاري : كتاب الأذان ، باب ١٨ الأذان للمسافر ... (١/ ١٥٥) ، وغيره .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٣١٨ من حديث جابر .

(٣) سورة الأحزاب : آية ٢١ .

((المطلب الثالث))

تزكية الرسول – صلى الله عليه وسلم - للصحابة

جاء في أكثر من آية أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – مكلف من ربه بأن يزكي صحبه الكرام ،ومن ذلك :

١ – قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [1] .

٢ – قوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [2] .

التزكية في هذه الآيات التطهير ، أي يطهرهم من نجاسة الكفر والذنوب والمعاصي وسيء الأخلاق ، وجاءت التزكية في الآية الثانية بعد التطهير فيراد بها التأكيد والمبالغة في التطهير [3] .

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٦٤ .

(٢) سورة التوبة : آية ١٠٢ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٤٤٨ ، وتيسير الكريم الرحمن ص ١٣٨ ، وزبدة التفسير ص ٧١ ، ٢٠٣ .

لقد زكت نفوس الصحابة - رضي الله عنهم – فضربوا أروع الأمثلة في الصدق والأمانة والاتباع والبعد عن الشرك والمعاصي مع الحرص على كثرة العبادة ونصرة دين الله سبحانه .

التزكية منقبة رفيعة ، ومنحة ربانية عظيمة ، يختص الله بها من يشاء من عباده ، كما قال – عز وجل – في قصة الخضر مع موسى - عليهما السلام - : ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾[1] .

وقال سبحانه في معرض خطاب الملك لمريم عن ابنها عيسى – عليهما السلام : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾[2] .

*****

---

(١) سورة الكهف : آية ٨١ .

(٢) سورة مريم : آية ١٩ .

((المطلب الرابع))

مشاورة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لهم

قال - عز وجل - : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [١] .

هذا عن مشاورة النبي - صلى الله عليه وسلم - للصحابة خاصة وجاءت المشورة على سبيل العموم في قوله - عز وجل - : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [٢] .

قال البخاري - رحمه الله - : " وشاور النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه يوم أحد في المقام والخروج ، فرأوا له الخروج ، فلما لبس لامته وعزم قالوا : أقم ، فلم يمل إليهم بعد العزم ، وقال : "**لا ينبغي لنبي يلبس لامته فيضعها حتى يحكم الله** " .

وشاور علياً وأسامة فيما رمى به أهل الإفك عائشة ، فسمع منهما حتى نزل القرآن وجلد الرامين ، ولم يلتفت إلى تنازعهم ، ولكن حكم بما أمره الله .

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٥٩ .

(٢) سورة الشورى : آية ٣٨ .

وكانت الأئمة بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها ، فإذا وضح الكتاب والسنة لم يتعدوه إلى غيره اقتداءً بالنبي – صلى الله عليه وسلم - ..." [١] .

إن استشارة النبي – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه في الأمور التي تحتاج إلى استشارة كأحوال الحرب وما يتعلق بمصالح الناس، ونحوها ، فيه مصالح كثيرة متنوعة، منها :

١- تطييب خواطرهم ورفع معنوياتهم وتقوية ثقتهم بأنفسهم .

٢- إشاعة المحبة بين الراعي والرعية ، لأن الاستشارة تشيع المحبة وتبعد شبح الاستبداد .

٣- تعويد الصحابة وغيرهم على ذلك ، حتى يكون الرأي للجميع ، دون الانفراد بالرأي .

٤- أن في الاستشارة تنور الأفكار وتتلاقى وجهات النظر مما يزيد في العقول.

٥- أن الاستشارة تنتج قرارات ناضجة وآراء مسددة فإن المشاور في الغالب لا يكاد يخطئ ، وإن أخطأ سلم من اللوم ، لأنه استشار [٢] .

*****

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام ، باب ٢٨ قول الله تعالى : (وأمرهم شورى بينهم) (وشاورهم في الأمر) ٦/ ١٦٢ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٢٥٠ ، ٢٥١ ، وفتح القدير ١/ ٦٤٠ ، وتيسير الكريم الرحمن ص ١٣٧ .

((المطلب الخامس))

لينه – صلى الله عليه وسلم – معهم وعطفه عليهم

النبي – صلى الله عليه وسلم – أدبه ربه فأحسن تأديبه ، فكان على أحسن خلق وأكرم خصال ، كما قال – عز وجل – : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾[(١)] ، وقال سبحانه : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨ ﴾[(٢)] .

وقد كان – صلى الله عليه وسلم – ليناً مع اصحابه رفيقاً بهم ذا عطف عليهم ورحمة بهم .

قال – عز وجل – : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ ﴾[(٣)] .

---

(١) سورة القلم : آية ٤ .

(٢) سورة التوبة : آية ١٢٨ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٥٩ .

إن من رحمة الله – عز وجل – على نبيه وعلى المؤمنين أن كان النبي – صلى الله عليه وسلم – ليناً بالصحابة رفيقاً بهم ، حيث إن هذا يؤلف قلوبهم ويجمع كلمتهم[١] .

إن لين النبي – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه وعدم إغلاظه عليهم يعتبر منقبة للصحابة من حيث استحقاقهم لذلك باتباعهم للنبي – صلى الله عليه وسلم – ونصرته ومؤازرته ، كما أن ذلك دال على علو مكانة الصحابة – رضي الله عنهم – عند هذا الرسول الكريم الرحيم .

*****

---

(١) انظر : الوسيط ١/ ٥١٢ ، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٤١ ، ١٤٢ ، وزبدة التفسير ص ٧١ ، وتيسير الكريم الرحمن ص ١٣٧ .

((المطلب السادس))

كمال تعاملهم مع النبي – صلى الله عليه وسلم –

بينت الآيات القرآنية الكريمة أن الصحابة – رضي الله عنهم – كانوا مثالاً عالياً في التعامل مع النبي – صلى الله عليه وسلم – ، حيث كانوا يتأدبون معه أشد التأدب ، فلا يرفعون أصواتهم بحضرته ، ويعظمونه حق تعظيمه ، ويقدرون له قدره الشريف ، ولا ينصرفون من حضرته إلا بإذنه ، وإليك الآيات الدالة على هذه المناقب الرفيعة :

– قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[1] .

وهذا من كمال أدبهم مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – وتوقيرهم له .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾[2] .

---

(١) سورة الحجرات : آية ٣ .

(٢) سورة النور : آية ٦٢ .

قال السعدي – رحمه الله – : "... ومدحهم على فعلهم هذا وأدبهم مع رسوله وولي الأمر منهم فقال : (**إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله**) ... " [(١)] .

– وقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [(٢)] .

فقوله ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ أي : تنصروا الرسول وتعظموه ، وتجلوه ، وتقوموا بحقوقه ، وهذا ما كان منهم – رضي الله عنهم – ، فإنهم كانوا يجلون النبي – صلى الله عليه وسلم – إجلالاً عظيماً ، وقاموا بنصرته على أكمل وجه [(٣)] .

*****

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٥٤٧ .

(٢) سورة الفتح : آية ٨-٩ .

(٣) انظر : معالم التنزيل ٤/ ١٩٠ ، وتيسير الكريم الرحمن ص٧٥٨ .

المبحث الثالث

امتنان الله – عز وجل – على الصحابة – رضي الله عنهم –

وفيه مطالب :

المطلب الأول : بعث الرسول – صلى الله عليه وسلم – منهم .

المطلب الثاني : العفو عنهم والتوبة عليهم .

المطلب الثالث : رضوان الله عليهم .

المطلب الرابع : البشارة لهم ووعدهم بالجنة .

((المطلب الأول))

بعث الرسول –صلى الله عليه وسلم– منهم

بعثة النبي – صلى الله عليه وسلم – نعمة كبرى على الخلق أجمعين كما قال الله – عز وجل – : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ (١) .

وهذه النعمة لها خصوصيتها لمن بعث فيهم ، حيث صحبته، والعيش معه، ومؤازرته، وأخذ الدين عنه مباشرة دون واسطة ، ومشاهدة التنزيل ، والصدارة في التعلم على يديه– صلى الله عليه وسلم – ولذلك قال – عز وجل – : ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤ ﴾ (٢) .

وهذه الآية بمعنى آية الجمعة ، حيث قال الله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الأنبياء : آية ١٠٧ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٦٤ .

(٣) سورة الجمعة : آية ٢ .

قال الشيخ محمد رشيد رضا – رحمه الله - : "من عليهم : غمرهم بالمنة وأثقلهم بالنعمة ... ووجه هذه المنة الخاصة ، التي لا تنافي كونه – صلى الله عليه وسلم – رحمة عامة هو أن كونه منهم يزيد في شرفهم ويجعلهم أول المهتدين ، لأنهم أسرع الناس فهماً لدعوته ... ويمكن أن يستدل على هذا التخصيص بالعرب دعوة إبراهيم – صلى الله عليه وسلم – التي تقدمت في سورة البقرة :
﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ ﴾ (١) .

قال الأستاذ الإمام : أما تعليمهم الكتاب فمعناه أن هذا الدين الذي جاء به قد اضطرهم إلى تعلم الكتابة بالقلم وأخرجهم من الأمية ، لأنه دين حث على المدنية وسياسة الأمم .

أقول : كان أول حاجتهم إلى تعلم الكتابة وجوب كتابة القرآن ، وقد اتخذ – صلى الله عليه وسلم – كتبةً للوحي ، وكتبوا له كتباً دعا بها الملوك والرؤساء إلى الإسلام، وكان يأمرهم بتعلم الكتابة . ثم كان ذلك يكثر فيهم على قدر نماء مدنيتهم وامتداد سلطتهم" (٢) .

*****

---

(١) سورة البقرة : آية ١٢٩ .

(٢) تفسير المنار ٤/ ٢٢١ – ٢٢٣ .

((المطلب الثاني))

العفو عنهم والتوبة عليهم

لقد جاء بالامتنان من الله – عز وجل – على الصحابة بالعفو عما قد يبدر منهم والتوبة عليهم فيما يقعون فيه من المخالفات في آيات متعددة ، ومن ذلك :

١- قوله – عز وجل - : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (١) .

قال ابن كثير –رحمه الله– في تفسيرها: " ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ ﴾ أي : أول النهار [أي يوم أحد] ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم ﴾ أي تقتلونهم ﴿ بِإِذْنِهِۦ ﴾ أي بتسليطه إياكم عليهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ ﴾ قال ابن جريج : قال ابن عباس : الفشل : الجبن ، ﴿ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم ﴾ كما وقع للرماة ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ ﴾ وهو الظفر بهم

(١) سورة آل عمران : آية ١٥٢ .

﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا ﴾ وهم الذين رغبوا في المغنم حين رأوا الهزيمة ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ أي غفر لكم ذلك الصنيع، وذلك–والله أعلم–لكثرة عدد العدو وعددهم وقلة عدد المسلمين وعددهم، قال ابن جريج: قوله: ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ﴾ .

قال: لم يستأصلكم، وكذا قال محمد بن إسحاق رواهما ابن جرير"[1] .

إن امتنان الله – عز وجل – بالعفو عن صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعدم استئصالهم دال على شرفهم وكرمهم عند ربهم وهذا من أعظم المناقب لهم .

٢- قوله – عز وجل – : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[2] .

قال ابن جرير – رحمه الله – : "يقول تعالى ذكره : لقد رزق الله الإنابة إلى أمره وطاعته نبيه محمداً – صلى الله عليه وسلم – والمهاجرين ديارهم وعشيرتهم إلى دار الإسلام ، وأنصار رسوله في الله ، الذين اتبعوا رسول الله في ساعة العسرة

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ١٢٧ ، وانظر : تيسير الكريم الرحمن ص ١٣٥ .

(٢) سورة التوبة : آية ١١٧ .

منهم من النفقة والظهر والزاد والماء ، ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنۡهُمۡ ﴾ يقول من بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحق ، ويشك في دينه ويرتاب ، بالذي ناله من المشقة والشدة في سفره وغزوه ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ يقول ثم رزقهم جل ثناؤه الإنابة والرجوع إلى الثبات على دينه وإبصار الحق الذي كان قد كاد يلتبس عليهم ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ يقول إن ربكم بالذين خالط قلوبهم ذلك لما نالهم في سفرهم من الشدة والمشقة رؤوف بهم ﴿ رَّحِيمٞ ﴾ أن يهلكهم ، فينزع منهم الإيمان، بعدما قد أبلوا في الله ما أبلوا مع رسوله ، وصبروا عليه من البأساء والضراء" [١] .

إن المتأمل لهذه الآية وتفسيرها يدرك أن عفو الله عن صحابته –رضي الله عنهم- وقد أبلوا مع سول الله – صلى الله عليه وسلم – ونصروا دين الله ، أن هذا العفو منة من الله سبحانه عليهم إلى جانب أنه منقبة لهم ورفعة لمكانتهم – رضي الله عنهم – .

(١) جامع البيان ١٤/ ٥٣٩ ، وانظر : معالم التنزيل ٢/ ٣٣٣، ٣٣٤ .

٣- قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [١] .

قال السعدي – رحمه الله – : "... ثم أمره الله تعالى بأن يعفو عنهم ما صدر منهم من التقصير في حقه – صلى الله عليه وسلم – ويستغفر لهم في التقصير في حق الله ، فيجمع بين العفو والإحسان"(٢) .

فالله سبحانه تفضل بأمر نبيه بالعفو عن الصحابة زيادة على عفوه هو سبحانه عنهم ، وهذا يعد منقبة لهم وفضلا .

*****

(١) سورة آل عمران : آية ١٥٩ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص١٣٧

((المطلب الثالث))

رضوان الله عليهم

رضوان الله – سبحانه وتعالى – عن العبد مكانة عالية جداً ومنقبة رفيعة لا يعادلها شيء كما قال –سبحانه وتعالى– : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾[1] .

وقد جاء إثبات هذه المنقبة للصحابة - رضي الله عنهم - في مواضع من كتاب الله – عز وجل – ، منها :

١– قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[2] .

٢–قوله تعالى : ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾[1] .

---

(١) سورة التوبة : آية ٧٢ .

(٢) سورة التوبة : آية ١٠٠ .

قال السعدي - رحمه الله – في تفسيره للآية الثانية : "يخبر تعالى بفضله ورحمته برضاه عن المؤمنين إذ يبايعون الرسول – صلى الله عليه وسلم – تلك البيعة التي بيضت وجوهم واكتسبوا بها سعادة الدنيا والآخرة .

وكان سبب هذه البيعة التي يقال لها "بيعة الرضوان" برضا الله عن المؤمنين فيها، ويقال ها : "بيعة أهل الشجرة" أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما دار الكلام بينه وبين المشركين يوم الحديبية في شأن مجيئه ، وأنه لم يجيء لقتال أحد ، وإنما جاء زائراً هذا البيت ، معظماً له ، فبعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عثمان بن عفان لمكة في ذلك . فجاء خبر غير صادق ، أن عثمان قتله المشركون فجمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من معه من المؤمنين ، وكانوا نحواً من ألف وخمسمائة ، فبايعوه تحت شجرة على قتال المشركين ، وأن لا يفروا حتى يموتوا، فأخبر تعالى أنه رضي عن المؤمنين في تلك الحال التي هي من أكبر الطاعات وأجل القربات ﴿ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ من الإيمان ﴿ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ شكراً لهم على ما في قلوبهم زادهم هدى ... "[2] .

---

(١) سورة الفتح : آية ١٨ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٧٦٠ ، وانظر : الوسيط ٤/ ١٣٩ ، ١٤٠ ، ومعالم التنزيل ٤/ ١٩٣ ، والدر المنثور ٧/ ٥٢١ .

إن رضى الله – عز وجل – عن الصحابة لمن أعظم مناقبهم ، إن لم تكن أعظمها على الإطلاق ، فإنه من نال رضى الله – عز وجل – حصل على أعلى المقامات وسعد في الدنيا والآخرة.

*****

((المطلب الرابع))

البشارة لهم ووعدهم بالجنة

من أعظم مناقب الصحابة – رضي الله عنهم – بشارة الله – عز وجل – لهم بالرحمة والرضوان ونعيم الجنان، ومن ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

فهؤلاء الأخيار الذين صحبوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وجمعوا بين الإيمان والهجرة في سبيل الله والجهاد بالأموال والأنفس، لهم مكانة عظيمة عند الله عبر عنها بقوله سبحانه ﴿ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ لذلك جاءت البشارة لهم فوق وصف الواصفين وتصور المتصورين من الفوز والرحمة والرضوان وجنات فيها النعيم المقيم المستمر الذي لا يفارق صاحبه [2].

*****

---

(١) سورة التوبة: آية ٢٠ – ٢٢.

(٢) انظر: زاد المسير ٣/ ٤١١، وتيسير الكريم الرحمن ص ٣٠٩، وزبد التفسير ص ١٨٩.

المبحث الرابع

مناقب الصحابة في الجهاد في سبيل الله

وفيه مطالب :

المطلب الأول : الصدق عند اللقاء وشدة البأس .

المطلب الثاني : حسن ظنهم بربهم .

المطلب الثالث : تثبيتهم وإمدادهم بالملائكة .

المطلب الرابع : إلقاء الرعب في قلوب أعدائهم .

المطلب الخامس : كف أيدي الكفار عنهم وكفاية الله لهم .

المطلب السادس : الإنفاق في سبيل الله .

((المطلب الأول))

الصدق عند اللقاء وشدة البأس

بين الله - عز وجل – صدق أوليائه المؤمنين عند لقاء أعداء الله الكافرين ووصفهم بالثبات على ما عاهدوا الله عليه وبايعوا رسوله – صلى الله عليه وسلم – من نصرة هذا الدين والذود عن رسوله الأمين ، ومن ذلك قوله ٠ عز وجل - : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [1] .

صح في سبب نزول هذه الآية عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر ، فقال : يا رسول الله : غبت عن أول قتال قاتلتَ المشركين ، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء (يعني أصحابه) وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء (يعني المشركين) ثم استقبله سعد بن معاذ ، فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر ، إني أجد ريحها من دون أحد ،

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٢٣ .

قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع ، قال أنس : فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون ، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه .

قال أنس : كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه من المؤمنين ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ إلى آخر الآية "[1] .

إن هذه منقبة عظيمة للصحابة ، وهذه الآية في أنس بن النضر – رضي الله عنه – وغيره ، فنصر الله بهم الدين وأعز بهم الإسلام والمسلمين ، وقد أبلوا بلاءً حسناً في قتال أعداء الله الكافرين وقد صدقوا وثبتوا رغم ما قد يحصل لهم من أذى المشركين وانكسارهم في بعض المواضع كما قال – عز وجل – : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ﴾[2] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ، باب ١٢ قول الله تعالى : (من المؤمنين رجال صدوقا ما عاهدوا الله عليه) ٣/ ٢٠٥ ، ومسلم في كتاب الإمارة ، باب ٤١ ثبوت الجنة للشهيد ٣/ ١٥١٢ حديث ١٩٠٣ ، والواحدي في أسباب النزول ص ٣٥٣ ، وانظر : المحرر في أسباب نزول القرآن ٢/ ٨٠١ – ٨٠٣ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٨٢ .

وهذه الآية في ثبات الصحابة بعد أحد لما أُشيع أن المشركين قد هموا بالرجوع لقتال المؤمنين واستئصالهم ، فلم يزدهم ذلك إلا ثباتاً وقوة واتكالاً على ربهم [1] .

*****

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٢/ ١٦١ ، وتيسير الكريم الرحمن ص ١٤٠ .

((المطلب الثاني))

حسن ظنهم بربهم

تميز الصحابة – رضي الله عنهم – بقوة ثقتهم بوعد الله – عز وجل – لهم بالنصر كما سبق في المبحث الأول من مطلب قوة توكلهم على ربهم ، فهم متوكلون على ربهم عموماً ، وفي الحرب وعند اللقاء على وجه الخصوص ، وهذه المواطن – مواطن الحرب والنزال – من أهم ما يكون التوكل فيها حاضراً قوياً ، حتى تثبت الأقدام ، ومن ذلك ما أثنى الله – عز وجل – على الصحابة بقوله – سبحانه – : ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾[1] .

فهذه الآية دالة على قوة توكل الصحابة وحسن ظنهم بربهم ، وأنه ناصر دينه ورسوله وأولياءه ، ومحقق وعده لهم بدفع أذى المشركين ، فهم على يقين أن العاقبة للمتقين .

*****

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٢٢ .

((المطلب الثالث))

تثبيتهم وإمدادهم بالملائكة

يقول الله – عز وجل – : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ ﴾ .... الآيات [(١)] .

في هذه الآيات الكريمة بيان مناقب للصحابة ، فإن الله – عز وجل – هيأ أسباباً لثباتهم أمام أعدائهم يوم بدر ، أمدهم بالملائكة وبشرهم بالنصر بهم ، وجعل النوم يغشاهم ليطمئنوا ويرتاحوا ويأمنوا وأنزل المطر بشارة لهم ولتثبت به الأرض تحت أقدامهم ، وأوحى الملائكة أن يثبتوا المؤمنين بالقتال معهم وتكثير سوادهم [(٢)] .

*****

---

(١) سورة الأنفال : آية ٩ – ١٢ .

(٢) انظر : المحرر الوجيز ٨/ ٢٢ – ٢٧ ، وزاد المسير ٣/ ٣٢٣ – ٣٢٩ ، وروح المعاني ٩/ ١٧٣ – ١٧٧ .

((المطلب الرابع))

إلقاء الرعب في قلوب أعدائهم

نصر الله هذه الأمة بإلقاء الرعب في قلوب أعدائها ، وفي مقدمة ذلك صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقد نصرهم الله – عز وجل – بذلك في مواطن كثيرة .

ففي بدر قال عز وجل : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[1] .

وفي أحد قال – عز وجل – ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾[2] .

وفي شأن يوم الأحزاب قال – عز وجل – : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ

---

(١) سورة الأنفال : آية ١٢ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٥١ .

ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [١] .

إن إنزال الرعب في قلوب أعداء الله الكافرين كرامة من الله – عز وجل – لرسوله الأمين وصحبه الصادقين ، وقد بوب البخاري – رحمه الله – باباً في كتاب الجهاد قال فيه : "باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : "نصرت بالرعب مسيرة شهر"، وقوله – جل وعز – : ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ ﴾ [٢] " . وأورد حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : **"بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب"** [٣] الحديث .

*****

(١) سورة الأحزاب : آية ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٥١ .

(٣) البخاري ، في كتاب الجهاد ، باب ١٢٢ قول النبي – صلى الله عليه وسلم – نصرت بالرعب ٤/ ١٢

((المطلب الخامس))

كف أيدي الكفار عنهم وكفاية الله لهم

بين الله – عز وجل – في مواضع من كتابه كفاية الله للصحابة – رضي الله عنهم – وأنه يكف أيدي الكافرين عن إيذائهم والتسلط عليهم ، وهذه منة كبرى ، وتعد من أعظم المناقب للصحب الكرم.

ومن الآيات الواردة في ذلك :

١- قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١ ﴾[١] .

هذه الآية عامة في مدلولها وإن نزلت في سبب خاص من هم اليهود أو بعض الأعراب بقتل النبي – صلى الله عليه وسلم – [٢] . ففيها امتنان الله – عز وجل – على المؤمنين وفي مقدمتهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – بأن حال بين

(١) سورة المائدة : آية ١١ .

(٢) انظر : جامع البيان ١٠/ ١٠٢ – ١٠٧ ، وأسباب النزول للواحدي ص ١٩٢ – ١٩٤ ،

الكفار وبين أن يقتلوا النبي –صلى الله عليه وسلم– أو أحداً من أصحابه في مواضع كثيرة[(١)] .

٢- قول الله –عز وجل- : ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ ﴾[(٢)] .

قيل هذه الآية في كف الأعداء عن المؤمنين يوم خيبر ، فحصل المؤمنون على النصر والغنائم حينها دون قتال [(٣)] .

٣- قوله – عز وجل – : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[(٤)] .

هذا يوم الحديبية لما صد المشركون الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه عن البيت ، وهبط نحو ثمانين رجل من أهل مكة متسلحين يريدون غرة المسلمين فأخذهم المسلمون ثم تركوهم [(٥)] .

---

(١) انظر : جامع البيان ١٠/ ١٠٧ ، وتيسير الكريم الرحمن ص ٢٠٣ .

(٢) سورة الفتح : آية ٢٠ .

(٣) انظر : معالم التنزيل ٤/ ١٩٤ ، ١٩٥ ، وزبدة التفسير ص ٥١٣ .

(٤) سورة الفتح : آية ٢٤ .

(٥) انظر : معالم التنزيل ٤/ ١٩٨ ، وتيسير الكريم الرحمن ص ٧٦٠ .

إن هذه الآيات وغيرها تبين كفاية الله للمؤمنين ، حيث كف أيدي الكفار عن المؤمنين في مواطن متعددة ، وهذه منة وكرامة للرسول – صلى الله عليه وسلم – وصحبه الكرام .

*****

((المطلب السادس))

الإنفاق في سبيل الله

لقد بذل الصحابة – رضي الله عنهم – أرواحهم وأموالهم في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ، وجاء الثناء عليهم في القرآن الكريم وبيان مناقبهم في ذلك في آيات كثيرة من ذلك :

١– قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (١)

هذه الآية تبين علو كعب الصحابة في الإنفاق في سبيل الله ، وفيها بيان أفضلية السابقين بإسلامهم وإنفاقهم في سبيل الله ، مع إثبات الفضل لمن أسلم بعد وقاتل وأنفق .

قال السعدي – رحمه الله – : "المراد بالفتح هنا هو صلح الحديبية ... وكان المسلمون قبل هذا الفتح لا يقدرون على الدعوة إلى الدين في غير البقعة التي أسلم أهلها ، كالمدينة وتوابعها .

---

(١) سورة الحديد : آية ١٠ .

وكان من أسلم من أهل مكة وغيرها من ديار المشركين يُؤذَى ويخاف ، فلذلك كان من أسلم قبل الفتح وأنفق وقاتل أعظم درجة وأجرا وثوابا ممن لم يسلم ويقاتل وينفق إلا بعد ذلك كما هو مقتضى الحكمة ، ولذلك كان السابقون وفضلاء الصحابة غالبهم أسلم قبل الفتح .

ولما كان التفضيل بين الأمور قد يتوهم منه نقص وقدح في المفضول احترز تعالى عن هذا بقوله (وكلاً وعد الله الحسنى) أي الذين أسلموا وقاتلوا وأنفقوا من قبل الفتح وبعده ، كلهم وعده الله الجنة ، وهذا يدل على فضل الصحابة كلهم – رضي الله عنهم – ، حيث شهد الله لهم بالإيمان ووعدهم الجنة" [(١)] .

٢- قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾ [(٢)]

قال الواحدي : "قال الكلبي : نزلت في عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف ، أما عبدالرحمن بن عوف فإنه جاء إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – بأربعة آلاف درهم صدقة فقال : كان عندي ثمانية آلاف

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٨٠٢ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٦٢ .

درهم ، فأمسكت لنفسي وعيالي أربعة آلاف درهم ، وأربعة آلاف أقرضتها ربي ، فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : "بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت" .

وأما عثمان – رضي الله عنه – فقال : "علي جهاز من لا جهاز له في غزوة تبوك ، فجهز المسلمين بألف بعير بأقتابها وأحلاسها ، وتصدق برومة – ركية كانت له – عدا المسلمين ، فنزلت فيهما الآية" [(١)]

*****

(١) أسباب النزول ص٨٦ .

المبحث الخامس

معاملة الصحابة للآخرين

وفيه مطالب :

المطلب الأول : الشدة على الكفار والتراحم بينهم .

المطلب الثاني : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المطلب الثالث : الإيثار لغيرهم .

((المطلب الأول))

الشدة على الكفار والتراحم بينهم

من أعظم مناقب الصحابة تحقيقهم لعقيدة الولاء والبراء ، الولاية لله ورسوله والمؤمنين ، والبراءة من الكفر والكافرين والمنافقين .

ودلائل ذلك في القرآن كثيرة ، منها :

١ – قوله – عز وجل – : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [١] .

أثنى الله – عز وجل – على رسوله – صلى الله عليه وسلم – وصحابته الكرام بأن فيهم قوة وغلظة على أعداء الله الكافرين ، أما بينهم ، فإنهم متوادون متعاطفون، فهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ، ولمن وافقه الرحمة والرأفة ، على خلاف ما يفعله المنافقون من لينهم لأهل الكفر وشدتهم على المسلمين [٢] .

---

(١) سورة الفتح : آية ٢٩ .

(٢) انظر : تفسير البيضاوي ٢/ ٤١٣ ، وفتح القدير ٥/ ٧٤ .

وهذه الآية بمعنى قوله –عز وجل–: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1] .

إن هذه المنقبة لتدل على قوة الإيمان والحب لهذا الدين وأهله وشدة الانتماء له ، والبراءة ممن تنكر لهذا الدين من الكفار والمنافقين .

٢– قوله –عز وجل– : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[2] .

هذه الآية فيها الثناء على الصحابة الذين تبرؤوا من أقرب الناس إليهم كأبي بكر وأبي عبيدة وغيرهما ، وهذا من قوة الانتماء لهذا الدين القويم وأهله وشدة الولاء له ، والبراءة من الكفر وأهله[3] .

*****

(١) سورة المائدة : آية ٥٤ .

(٢) سورة المجادلة : آية ٢٢ .

(٣) انظر : أسباب النزول للواحدي ص ٤١٤ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٣١٢ ، وتيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ٤/ ٣٢٨ .

((المطلب الثاني))

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

في سورة براءة أثنى الله – عز وجل – على الصحابة بموالاة بعضهم بعضاً وأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، بعد أن ذم المنافقين بأنهم على الضد من ذلك ، حيث قال سبحانه : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[1] .

وقد يقول قائل : إن هذه الآية عامة لهم ولغيرهم ، فأقول إنهم يدخلون في الآية دخولاً أولياً ، فلهم السبق في هذه المنقبة العظيمة إقامة شعيرة الدين الجليلة ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقد أتت آية أخرى في آخر السورة تأكيداً على هذه المنقبة الشريفة ، حيث قال – عز وجل – : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ

---

(١) سورة التوبة : آية ٧١ .

ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (١) .

إن الصحابة – رضي الله عنهم – تحلوا بهذه الخصلة الحميدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، امتثالاً لأمر ربهم واقتداء بنبيهم ، حيث قال الله – عز وجل – :

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ (٢) .

*****

---

(١) سورة التوبة : آية ١١٢ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٥٧ .

((المطلب الثالث))
إيثارهم لغيرهم

الإيثار أن تقدم غيرك في منفعة أنت بحاجة إليها .

والصحابة – رضي الله عنهم – ضربوا أروع الأمثلة في هذا الخلق الرفيع النبيل بقول الله – عز وجل – عن صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (١) .

والخصاصة شدة الحاجة أو الفقر (٢) .

في الصحيح عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رجلاً أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – ، فبعث إلى نسائه ، فقلن ما معنا إلا الماء ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : من يضم أو يضيف هذا ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا ، فانطلق به إلى امرأته ، فقال : أكرمي ضيف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فقالت : ما عندنا إلا قوت صبباني ، فقال : هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاءً ، فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها ، ثم قامت كأنها تصلح سراجها ،فأطفأته فجعلا يُرِيانه أنهما يأكلان ، فباتا طاويين ، فلما أصبح غدا إلى رسول الله = صلى الله عليه وسلم – فقال :

---

(١) سورة الحشر : آية ٩ .

(٢) انظر : المفردات ص ١٤٩ (خص) .

ضحك الله ، أو عجب من فعالكما، فأنزل الله : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ ﴾ [١][٢] .

---

(١) سورة الحشر : آية ٩ .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب ١ (ويؤثرون على أنفسهم) ٤/ ٢٢٦ ، ومسلم في كتاب الأشربة ، باب ٣٢ ، إكرام الضيف وإيثاره ٤/ ١٦٢٤ حديث (٢٠٥٤) ، والواحدي في أسباب النزول ص ٥١٩ .

المبحث السادس

فضائل أمهات المؤمنين

وفيه مطالب :

المطلب الأول : مضاعفة الأجور والرزق الكريم .

المطلب الثاني : كونهن من أهل بيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

المطلب الثالث : كونهن أمهات المؤمنين واختصاصهن بالرسول – صلى الله عليه وسلم – .

المطلب الرابع : تبرئة أم المؤمنين عائشة من فوق سماوات.

المطلب الخامس : تزويج زينب من الرسول – صلى الله عليه وسلم – من فوق سماوات .

المطلب السادس : كونهن خير النساء للرسول – صلى الله عليه وسلم – .

((المطلب الأول))

مضاعفة الأجور والرزق الكريم

قال الله – عز وجل – مبيناً ما أعده لأمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[1] .

وقد اخترن – رضي الله عنهن – الخيار الثاني ، وهو الله ورسوله والدار الآخرة ابتغاءً لأجر الله العظيم !

وقال – سبحانه – مخاطباً لهن ﴿ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ ﴾ الآية[2] .

قال السعدي – رحمه الله – : " ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ ﴾ أي تطيع الله ﴿ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا ﴾ قليلاً أو كثيراً ﴿ نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾ أي مثل ما يعطي

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) سورة الأحزاب : آية ٣١ ، ٣٢ .

غيرها مرتين ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ وهي الجنة ، فقنتن لله ورسوله ، وعملن صالحاً ، فعليه بذلك أجرهن " [١] .

إن هذا الفضل لأمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – اختصهن الله به لقربهن من حبيبه ورسوله – محمد صلى الله عليه وسلم – ، فهو يعد من أعلى مناقبهن وما أكرمهن الله به دون غيرهن من النساء .

*****

---

(١) تفسير الكريم الرحمن ص ٦٣٢ ، وانظر : منحة التكريم الوهاب في تفسير آيات الأحكام في سورة الأحزاب ص ٤٧ – ٤٩ .

((المطلب الثاني))

كونهن من أهل بيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

بين الله – عز وجل – ، أن نساء النبي – صلى الله عليه وسلم – من أهل بيته الشريف ، بقوله سبحانه مخاطباً أمهات المؤمنين : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾[1] .

قال سيد قطب – رحمه الله – : " ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ .

وفي التعبير إيحاءات كثيرة ، كلها رفاف ، رفيق ، حنون .. فهو يسميهم ﴿ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ بدون وصف للبيت ولا إضافة ! كأنما هذا البيت هو "البيت"

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٣٣ ، ٣٤ .

الواحد في هذا العالم ، المستحق لهذه الصفة ، فإذا قيل "البيت" فقد عرف وحدد ووصف. ومثل هذا قيل عن الكعبة ، بيت الله ، فسميت البيت . والبيت الحرام .

فالتعبير عن بيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كذلك تكريم وتشريف واختصاص عظيم ...

ويختم هذه التوجيهات لنساء النبي - صلى الله عليه وسلم – بمثل ما بدأها به، بتذكيرهن بعلو مكانتهن ، وامتيازهن على النساء ، بمكانهن من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبما أنعم الله عليهن فجعل بيوتهن مهبط القرآن ومنزل الحكمة ومشرق النور والهدى والإيمان .

﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ .

وإنه لحظ عظيم يكفي التذكير به ، لتحس النفس جلالة قدره ولطيف صنع الله فيه ، وجزالة النعمة التي لا يعدلها نعيم" [١] .

إن هذا الشرف العظيم والانتساب الكريم لبيت الرسول – صلى الله عليه وسلم – وكون زوجات الرسول أهل بيته ليدل دلالة واضحة على علو مكانتهن

---

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٥٨٥ ، ٥٨٦ .

وعظيم مناقبهن ، وفي هذا رد على الشيعة الرافضة الذين يسيئون لأزواجه – صلى الله عليه وسلم – وخاصة أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – .

*****

((المطلب الثالث))

كونهن أمهات المؤمنين واختصاصهن بالرسول – صلى الله عليه وسلم –

جاء التصريح في القرآن الكريم بأن زوجات الرسول – صلى الله عليه وسلم – أمهات للمؤمنين بقوله – عز وجل – : ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾ (١) .

قال الواحدي – رحمه الله – : " ﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ﴾ في حرمة نكاحهن ، فلا يحل لأحد التزويج بواحدة منهن كما لا يحل التزويج بالأم .

هذه الأمومة تعود إلى حرمة نكاحهن لا غير ، لأنه لم يثبت شيء من أحكام الأمومة بين المؤمنين وبينهن سوى هذه الواحدة ، ألا ترى أنه لا يحل رؤيتهن ولا يرثن المؤمنين ولا يرثونهن" (٢) .

ويؤيد هذا المعنى قوله – عز وجل – : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٦ .

(٢) الوسيط ٣/ ٤٥٩ ، وانظر : منحة الكريم الوهاب ص ٣٣ .

(٣) سورة الأحزاب : آية ٥٣ .

فإذا كانت زوجات الرسول – صلى الله عليه وسلم – أمهات للمؤمنين فلا يحل للأولاد نكاح الأمهات ، وهذا فيه حماية لجناب النبي – صلى الله عليه وسلم – وتوقير له وتكريم لزوجاته من بعده [1] .

فهذه منقبة عظيمة لزوجات الرسول – صلى الله عليه وسلم – رضي الله عنهن وأرضاهن .

*****

(١) انظر : أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٥٧٩ ، وتيسير الكريم الرحمن ص ٦٣٩ ، وزبدة التفسير ص ٤٢٥ .

((المطلب الرابع))

تبرئة أم المؤمنين عائشة من فوق سماوات

عائشة أم المؤمنين ، الصديقة بنت الصديق ، الطاهرة العفيفة ، من عظيم مناقبها نزول قرآن فيها يتلى إلى يوم القيامة ، في بيان براءتها وطهارتها ، وسلامتها مما رماها به أهل الإفك والنفاق .

يقول الله – عز وجل – : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (١) .

القصة مشهورة معلوم تفاصيلها ودقائقها ، وقد وردت في كتب الصحاح والسنن والتفسير (٢) .

فقد حدث عروة عن عائشة رضي الله عنها أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن

---

(١) سورة النور : آية ١١ – ١٣ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٥/ ٦١ – ٧٤ ، وانشراح الصدور في تدبر سورة النور ص ٦٥– ٩٠ .

يخرج أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ، قالت عائشة : فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما نزل الحجاب ، فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فالتمست عقدي وحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت وهم يحسبون أني فيه ، وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يثقلهن اللحم ، إنما تأكل العلقة من الطعام ، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وكنت جارية حديثة السن ، فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فأممت منزلي الذي كنت به ، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي ، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت ، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني وكان رآني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني ، فخمرت وجهي بجلبابي ، و والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة

حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة ، فهلك من هلك ، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي بن سلول ، فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول كيف تيكم ؟، ثم ينصرف ، فذاك الذي يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نقهت ، فخرجت معي أم مسطح قبل المناصع ، وهو متبرزنا ، وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط ، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا ، فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق ، وابنها مسطح بن أثاثة ، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي وقد فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها ، فقالت : تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت ، أتسبين رجلا شهد بدرا، قالت أي هنتاه أولم تسمعي ما قال؟!، قالت قلت وما قال ؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت إلى بيتي ودخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم تعني سلم ثم قال كيف تيكم ؟ فقلت أتأذن لي أن آتي أبوي ؟ قالت وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما ، قالت فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم

فجئت أبوي فقلت لأمي يا أمتاه ما يتحدث الناس ؟ قالت يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها ، قالت فقلت سبحان الله أولقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبث الوحي يستأمرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود ، فقال يا رسول الله أهلك ولا نعلم إلا خيرا ، وأما علي بن أبي طالب فقال : يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك ، قالت : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك قالت بريرة لا والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرا أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبي ابن سلول قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي ، فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال يا رسول الله أنا أعذرك منه إن

كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك قالت ، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية ، فقال لسعد كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام ، أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فتثاور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت ، قالت : فبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم قالت فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع يظنان أن البكاء فالق كبدي ، قالت : فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي قالت فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلم ثم جلس ، قالت : ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها ، وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني ، قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال : أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه ، قالت ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبي :

أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال ، قال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت لأمي : أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن : إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني ، والله ما أجد لكم مثلا إلا قول أبي يوسف قال **(فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)** قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشي قالت وأنا حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها قالت فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو في يوم شات من ثقل القول الذي ينزل عليه ، قالت : فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سري عنه وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك فقالت أمي قومي إليه قالت ، فقلت لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل ، فأنزل الله عز وجل﴿ **إِنَّ**

﴿ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ ﴾ العشر الآيات كلها فلما أنزل الله هذا في براءتي ، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ قال أبو بكر : بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب ابنة جحش عن أمري فقال : يا زينب ماذا علمت أو رأيت فقالت يا رسول الله أحمي سمعي وبصري ما علمت إلا خيرا قالت وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع ، وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك" (١) .

إن هذه التبرئة من الله – عز وجل – لعائشة منقبة عظيمة لأم المؤمنين عائشة ورفعة لمكانتها وشرف لها .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير / سورة النور / باب ٦ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ٦/ ٥-٩ .

ألا فليخسأ المنافقون ومن يقع في عرض عائشة ويسبها من الرافضة وغيرهم .

رضي الله عن أمنا عائشة وأرضاها .

*****

((المطلب الخامس))

تزويج زينب من الرسول – صلى الله عليه وسلم – من فوق سبع سماوات

يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾[(١)] .

هذه الآية دالة على فوائد وحكم عظيمة ، لكن الشاهد فيها هنا أنها دلت على فضيلة أم المؤمنين زينب بنت جحش ابنة عمة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، حيث تولى الله تزويجها من رسوله من دون خطبة ولا شهود ، ولهذا كانت زينب تفخر على باقي أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – بقولها : **"زوجكن أهليكن زوجني الله من فوق سبع سموات"**[(٢)] .

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٣٧ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب ٢٢ وكان عرشه على الماء ٦/ ١٧٦ ، والترمذي في كتاب التفسير ، باب ٣٤ ومن سورة الأحزاب ٥/ ٣٥٥ حديث (٣٢١٣) ، وانظر : تفسير ابن كثير ٥/ ٤٦٧، ٤٦٨ ، وتيسير الكريم الرحمن ص ٦٣٥ ، وقضايا نساء النبي والمؤمنات في سورة الأحزاب ص ٢١٠ – ٢١٧ .

وقد أثيرت شبه حول هذا الزواج ، لكنها داحضة باطلة [١] .

فرضي الله عن أم المؤمنين زينب وهنيئاً لها هذه المنقبة العظيمة .

*****

(١) انظر : قضايا نساء النبي والمؤمنات في سورة الأحزاب ص ٢٢١ – ٢٤٤ .

((المطلب السادس))

كونهن خير النساء للرسول – صلى الله عليه وسلم –

لقد اختار الله لنبيه وصفيه محمد – صلى الله عليه وسلم – خير النساء ، ومما يدل على ذلك قوله عز وجل في سورة التحريم : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ ﴾[(١)] .

فلما لم يطلقهن دل على أنهن خير الأزواج له ، وهو دليل على خيريتهن في نساء الأمة كلها .

قال السعدي – رحمه الله – : "... فلما سمعن – رضي الله عنهن – هذا التخويف والتأديب بادرن إلى رضا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فكان هذا الوصف منطبقاً عليهن ، فصرن أفضل نساء المؤمنين ، وفي هذا دليل على أن الله لا يختار لرسوله – صلى الله عليه وسلم – إلا أكمل الأحوال وأعلى الأمور ،

---

(١) سورة التحريم : آية ٥ .

فلما اختار الله لرسولهم بقاء نسائه المذكورات معه دل على أنهن خير النساء وأكملهن" [١] .

*****

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٨٣٥.

خاتمة البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

أحمد الله وأشكره وأثني عليه وأستغفره .

بعد هذا التأمل والنظر في آيات القرآن وتفسيره تبين أن مناقب الصحابة كثيرة جداً ، لا تستوفى إلا باستقراء دقيق ونظر طويل ، وقد يسر الله استنباط كثير منها في هذا البحث ، أسأل الله أن ييسر استيفاءها مستقبلاً .

إن مناقب الصحابة – رضي الله عنهم – تدل على سبقهم في المكرمات وعلوهم في المقامات ، بقدر لا يدانيهم فيه غيرهم ، وبدرجة تدل على تخبط وتيه وضلال كل من أراد أن ينال منهم أو يثير الشبه حولهم .

فرضي الله عن صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وجمعنا بهم في جنات النعيم ، إنه سميع مجيب .

الباحث

فهرس المصادروالمراجع

١- **القرآن الكريم .**

٢- أحكام القرآن : لأبي بكر ابن العربي ، ط . دار المعرفة .

٣- أسباب النزول : للإمام أبي الحسن الواحدي ، تحقيق : عصام الحميدان.

٤- انشراح الصدور في تدبر سورة النور : للدكتور سليمان اللاحم ، ط . دار العاصمة .

٥- تفسير البيضاوي : لناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ، ط . دار الكتب العلمية بلبنان .

٦- تفسير ابن كثير : للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، ط . دار الأندلس .

٧- تفسير المنار : لمحمد رشيد رضا ، ط . دار المعرفة ، بيروت .

٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ط. دار التدمرية وابن حزم .

٩- تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير : لمحمد نسيب الرفاي ، نشر وزارة المعارف بالمملكة .

١٠- تيسير الوصول إلى مواضع الحديث من كتب الأصول : عبد المجيد محمد حسين ، ط. دار الدعوة .

١١- الجامع لأحكام القرآن : للإمام أبي عبد الله القرطبي ، د. دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

١٢- جامع البيان عن تأويل القرآن : للإمام ابن جرير الطبري ، تحقيق : أحمد ومحمود شاكر .

١٣- الدر المنثور في التفسير بالمأثور : لجلال الدين السيوطي ، ط. دار الفكر .

١٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : د. دار إحياء التراث العربي .

١٥- زاد المسير في علم التفسير :/ لأبي الفرج ابن الجوزي ، ط . المكتب الإسلامي .

١٦- زبدة التفسير : د. محمد سليمان الأشقر ، ط. وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة .

١٧- سنن الترمذي : للإمام الترمذي ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، نشر مطبعة مصطفى الحلبي .

١٨- صحيح البخاري : للإمام البخاري ، المكتبة الإسلامية ، استامبول .

١٩- صحيح مسلم : للإمام مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط . دار إحياء التراث العربي .

٢٠- في ظلال القرآن : لسيد قطب ، ط . دار إحياء التراث العربي بلبنان .

٢١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : للإمام محمد ابن علي الشوكاني ، تحقيق : د. عبد الرحمن عميرة ، ط . دار الوفاء .

٢٢- قضايا نساء النبي والمؤمنات في سورة الأحزاب : إعداد : حصة بن عثمان الخليفي ، ط . دار المسلم .

٢٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل : لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، ط . مكتبة المعارف ، الرياض .

٢٤- المحرر في أسباب النزول : للدكتور خالد بن سليمان المزيني ، ط . دار ابن الجوزي .

٢٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : للإمام ابن عطية ، نشر المكتبة التجارية لمصطفى الباز بمكة المكرمة .

٢٦- معالم التنزيل : للإمام محمد بن الحسين البغوي ، تحقيق : خالد العلك ومراد سوار ، ط . دار المعرفة بلبنان .

٢٧- المفردات في غريب القرآن : للراغب أبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني ، ط . دار المعرفة بلبنان .

٢٨- منحة الكريم الوهاب في تفسير آيات الأحكام في سورة الأحزاب : للدكتور سليمان اللاحم ، ط . دار العاصمة .

٢٩- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف : للفيف من المستشرقين .

٣٠- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : لمحمد فؤاد عبد الباقي .

٣١- الوسيط في تفسير القرآن المجيد : لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ، تحقيق : عماد أحمد عبد الموجود وآخرين ، نشر مكتبة دار الباز بمكة المكرمة .

*****

فهرس الموضوعات

*****



مطابع الحميضي ت: 2130130 الرياض